توفيق النعاس: "الفوضى زهرة".

يقدم معرض سان مي معرض "الفوضى زهرة"، وهو معرض فردي للفنان الليبي توفيق النعاس حيث يضم مجموعة من المنحوتات والفنون التركيبية.

تسعى ممارسة توفيق نعاس متعددة التخصصات والقائمة على الأبحاث، إلى خلق بيئات تقدم أطراً بديلة لفهم الصدمات التاريخية، بالاعتماد على وجهات النظر الكونية والبيئية. يجمع نعاس في عمله التفاصيل التاريخية والصور الشخصية والمراجع الرمزية باستخدام منهجية يشير إليها باسم "المراجعة الكونية ما بعد البيئية" التي تسعى إلى توفير المساحة والوقت للتأمل والتساؤل والفضول. إذا كان من الممكن فهم الصدمة على أنها مأزق متكرر يصبح فيه ضحاياها "عالقين" إلى الأبد داخل الحدث الصادم، فإن هذا المعرض يقدم بيئة تأملية حية لحظات التحول والشفاء.

"الفوضى زهرة" تعتمد بشكل خاص على التاريخ المضطرب لـ "النهر الصناعي العظيم"، وهو نظام ري جماعي تقوده الحكومة. بدأ في أواخر الثمانينات من قبل الدكتاتور الليبي آنذاك، معمر القذافي لتوصيل المياه إلى المناطق الساحلية المكتظة بالسكان, من شمال ليبيا. بهدف التخفيف من الإجهاد المائي طويل الأمد؛ سعى المشروع إلى نقل كميات هائلة من المياه المتحجرة المحدودة من طبقات المياه الجوفية العميقة تحت الصحراء الكبرى والتي تراكمت على مدى عشرات الآلاف من السنين عندما كانت المنطقة موطناً لمناخ كان معتدلاً في السابق. يُعتقد أن المشروع تكلف ٣٠ مليار دولار، وقد وصفه القذافي بأنه "أعجوبة العالم الثامنة"، على الرغم من أنه لم يكتمل بعد وكان غارقاً لفترة طويلة في جدل سياسي، بسبب عدد من العواقب الاجتماعية و البيئية الضارة.

يصف نعاس حدث النهر الصناعي العظيم بأنه "صدمة جيولوجية" ليس فقط فيما يتعلق بتاريخ ليبيا الحديث من الدكتاتورية والثورة والحرب الأهلية وعدم الاستقرار العسكري، ولكن أيضاً بتاريخ عائلة النعاس من النزوح والحُزن. داخل المعرض، يبدأ النهر الصناعي بمثابة بذرة أو نقطة انطلاق يرسم منها الفنان تواريخ بديلة وتحولات محتملة تتجاوز هذا الحدث الصادم. يتحول نعاس إلى فكرة إنبات النباتات كرمز للمرونة والإمكانية من أصغر الوسائل. في وسط المعرض، عمل النعاس الفني "من أي مظهر من مظاهري قدمت نفسك؟" (٢٠٢٤) يعرض صورة مكبرة لشتلة في كف الفنانين زرعتها والدة نعاس من نواة التمر. تنتشر هذه الصورة عبر لوحة إعلانية واسعة النطاق؛ تشبه اللوحات الإعلانية الدعائية للقذافي التي غالبًا توجد على جوانب الطرق في ليبيا، مما يعيد تصوّر البنية التحتية للاتصالات للنظام كوسيلة للتحول بدلاً من السيطرة.

يعيد عمل نعاس صياغة الصور التي تم العثور عليها، وينقلها إلى سياقات جديدة ويعيد استخدام أوضاع العرض كوسيلة لإعادة التخيّل. في قطعة 'سيبال'، يقوم نعاس بزرع صورة تم العثور عليها على النسيج الواقي الخارجي للسترة، بناءً على تصميم الملابس التي كان يرتديها القذافي أثناء إنتاج وافتتاح النهر الصناعي العظيم. تُظهر صورة المياه المتحجرة التي تندلع من تحت الأرض الصحراوية - بعد القصف الذي وقع عام ٢٠١٢، أثناء التدخل العسكري بقيادة الناتو الذي أعقب الثورة الليبية والربيع العربي.

ومن هذا العمل الجيوسياسي العنيف، يسلط نعاس الضوء على قوة المياه في مواجهة القوى المتغطرسة للاستخراج البشري، وهو الانفجار الذي يشبه الزهرة - ساق يبرز من الأرض.

تنمو أعمال النعاس الفنية من المواد الموجودة في عملية التسميد، حيث يتم جمع الصور واللغة والمواد المرئية وقلبها، وهي ممارسة يمكن من خلالها أن تنمو إمكانيات جديدة من المواد الموجودة. عبر الجدار الخلفي للمعرض، تأخذ اللوحة الجدارية التي رسمها نعاس يدوياً بعنوان "تكنولوجيا الغد وتجربة الأمس" عبارة مباشرة من ملصق لندوة تم تنظيمها في أعقاب وفاة عم النعاس على يد نظام القذافي في مذبحة سجن أبو سليم في عام ١٩٩٦. أسكت الدكتاتور الليبي كل من تحدثوا ضد النهر الصناعي العظيم بما في ذلك عم النعاس، العالم الذي قال أن المياه المتحجرة غير صالحة للاستهلاك البشري.

السؤال الرئيسي الذي يثيره المعرض هو كيف يمكن المضي قدماً من الأحداث المؤلمة التي يبدو وجودها المستمر أمراً لا يمكن التغلب عليه. على أرضية المعرض، يوجد عمل النعاس "الزهرة النموذجية" وهو عبارة عن منحوتة رمادية مطبوعة ثلاثية الأبعاد لمقطع عرضي لشكل زهرة متفتحة، يشير إلى المخططات النظرية للعلاقات بين مورفولوجيا النبات وعلم الكونيات. يبدو أن هذا التمثال ينمو من أسس الماضي المضطرب، وهو يلفت الانتباه إلى عالم الخيال والتكهنات كتقنيات لتوليد المستقبل يمكن من خلالها تحقيق عوالم أخرى.

"الفوضى زهرة" تبتعد عن الفهم المعتاد للأحداث التاريخية والصدمات الجماعية التي تضع التاريخ ضمن الإطار المحدود للإدراك البشري المتمركز. بدلاً من البقاء ضمن الحدود التاريخية لـ "الصدمة المائية الأرضية"، يقدم النعاس المزيد من المفاهيم الكونية للزمن من أجل توسيع إمكانيات إعادة كتابة التاريخ من خلال العدسة التجديدية و التصالحية للزمن العميق و الإيكولوجيا العميقة.

ترجمة آية زبادنة.